خُلق الستر.. صمام أمان المجتمع

◄سُئل الخوارزمي، عالم الرياضيات، عن الإنسان بالأرقام فقال: إذا كان الإنسان ذا أخلاق فهو يساوي واحداً صحيحاً، فإذا كان أيضاً ذا جمال فأضف للواحد صفراً، فيكون 10، وإذا كان أيضاً ذا مال فأضف صفراً فيكون 100، وإذا كان ذا حسب ونسب فأضف صفراً آخر فيكون 1000، وهكذا.. لكن، إذا ذهب الواحد (الأخلاق) فلن يتبقّ من الإنسان إلا الأصفار فقط.

الأخلاق هي صمام أمان المجتمع، وهي صمام أمان تماسك المجتمع. ولا توجد نهضه بلا أخلاق. الأخلاق هي الأساس المعنوي لنهضة الأُمم، ومقياس تطورها وتقدمها ورفعة شأنها. قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّاهَا) (الشمس/ 10-9). وتغيير شؤون الأمم وقفاً على تغير أخلاقها، وصلاح نفوسها. قال تعالى: (.. إِنّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...) (الرعد/ 11).

ولذلك، نحن اليوم مع خُلق جديد كله رحمة بالناس، وهو عامل من عوامل استقرار المجتمع وتماسكه، بل ويبعث على سعادة الفرد والمجتمع، لأنّه لو انعدم هذا الخلق، كان ذلك سبباً في انتشار الفساد

والمشاكل النفسية والمجتمعية بين الناس.

- خُلق اليوم اسمه السّتر:

كم هي البيوت التي تهدّمت على أصحابها بسبب انفضاح سترها، وانكشاف عوراتها، وكم هي المشكلات التي حدثت بين الناس لأنهم ترخّصوا في الكلمة وأشاعوها، وكم هي الجراح التي أدْمَت القلوب لأنّ البعض لم يحفظوا أسراراً ائتمنوا عليها. إنّ المسلم في الحياة مُعرّض للخطأ والزّلل، فلو فُضح في كل خطيئة لاسْتَمر الخطأ وزاد الفجور وقل الحياء في المجتمع. فالذي يهتك ستر الله له، فهو غير مُراقِب لله، ولا يَستحي من أحد. فهو بعيد عن التوبة وعن المغفرة.

إنّ خُلق السّتر يُطفئ نار الفساد ويُشيع المحبّة والرحمة بين الناس، ويورث الساتر سعادة وستراً في الدنيا والآخرة. والذي يستر على الآخرين يتّصف بالرحمة والحكمة والقدرة على الكتمان، ويعمل على إتاحة الفرصة للمتجاوز أو المسيء ليعود إلى صوابه.

إنّ الساتر لعيب غيره يحس بالسعادة والطمأنينة، لأنّه فعل خيراً، وسَتَر مسلماً، ويتذوّق طعم الإيمان.

إنّ الساتر لعيبه قد استحَى من الله ومن الخَلْق. ولهذا، هو حسُن الظن بربه، يرجو المغفرة. استر الناس وارحمهم بسترهم وستر عيوبهم وأخطائهم، ليرحمك الله ويسترك.

واستر الناس في الدنيا ليسترك الله تعالى يوم القيامة. يقول النبي (ص): "ومَن سَتَر مسلماً سَتَرَهُ الله يوم القيامة".

ولكن.. ما هو الستر؟

عندما تستر أحداً فإنك تُغطّيه، فيستتر هو. ومعنى "مَن سَتَر مسلماً"، أي رآه على قبيح فلم يُظهره للناس. والستر هو إخفاء ما يظهر من زلاّت الناس وعيوبهم. وهو عدم تتبّع عورات الناس والتنقيب في ما يسوؤهم، والستر يكون على مَن يُعرف بالصّلاح. فمثلاً، لا يكون الستر على المجرمين.

وستر النفس يكون بالبُعد عن الجهر بالمعصية.

والستر غطاء وحجاب، إذا غطيت العيب فلم يره أحد. قال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) (الإسراء/ 45).

استر عيوب الناس يسترك الله.

ما أجمل هذا الدعاء: "يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح". انظُر كم سَتَرَكَ الله وستر عيوبك وأظَهر الجميل منك؟

"يا مَن أظهَر الجميل وسَتَرَ القبيح".. سَتَر خواطرك السيئة تجاه الناس والمقرّبين، وسَتر مشاعرك الداخلية وأفكارك.

"يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح".. سَتَرَ قبيح الأمعاء والدماء والعظام وكساها وغطاها بالجلد الجميل.

"يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح".. سَتَرَ ذنوبك. تخيّل لو أن للذنوب رائحة، لما استطاع أحد أن يجلس معك.

"يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح".. تخيّل لو عصيت فكتب ذلك على باب بيتك أو على جبينك.

"يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح".. ستَرَكَ في الدنيا، وهو يسترها عليك يوم القيامة. قال رسول الله (ص): "يدنُو أحدكم من ربه، حتى يضع كنفه عليه فيقول: أعلمتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره، ثمّ يقول: "إني سترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم".

لا تفضح الناس أو تَتَبّع زلاتهم. أيسترهم الله في كل ذلك وتفضحهم أنت؟ مَن أنت لتكشف ستراً ستره الله على أحد؟ تخيل وأنت تفضح أو تشهّر بالناس، كأنك ترفع ستارة وضعها الله. فإيّاك وعدم الستر على الناس.

احذر أن تفضح الناس. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النور/ 19).

من أجل الستر أيضاً نَهَى الإسلامُ التجسس على الآخرين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا...) (الحجرات/ 12). قال المفسِّرون: التجسسُ: البحثُ عن عيبِ المسلمين وعورتهم.

استر الناس، ولك هذا الثواب من ستْر الله يوم القيامة، وحُب الله لك. قال (ص): "إنّ الله – عزّ وجلّ – حَيي ستير يحب الحياء والستر".

ولكن، ما هي أنواع الستر؟ ماذا أستر ومن أستر؟

استر نفسك، فليسَ من المعقول أنْ يفضح الإنسان نفسه أو يهتك ستر الله عليه. يقول النبي (ص): "كُلُّ أُمتي مُعافَى إلا المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثمّ يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويصبح يكشف ستر الله عليه".

استر أهلك وزوجتك وجيرانك. قال (ص): "إنّ من أشَرّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يُفضِي إلى امرأته، وتُفْضِي إليه، ثمّ يَنْشُرُ سرها".

استر الغير بإخفاء ما يظهر من زلات الناس وعيوبهم وعدم تتبُّع عوارت الناس والتنقيب في ما يسوؤهم.

استر النصيحة: وهو أنّ النصح يقترن به الستر، والتعيير يقترن به الإعلان. وكان يقال: "مَن نصح أخاه على رؤوس الخلائق فقد عيّرهُ".

استر الجوارح: احفظ عينك من رؤية العورات، واحفظ أذنك من سماع المحرّمات، واحفظ لسانك من الخوض في الأعراض. وعليك النأي بجوارحك عن كل حرام، فتسترها في الدنيا من الحرام، فتسترها في الدنيا من الحرام، وتسترها في الآخرة من العذاب.

ولكن، ماذا أفعل عندما أرى شيئاً يستوجب التعليق والمراجعة في تصرفات المقرّبين لي؟

استمع لهذه النصيحة من الفضيل بن عياض. كان يقول: "المؤمن يستر وينصح والمنافق يهتك الستر ويفضح". قُم أولاً بالستر على الناس، وبعد ذلك قم بواجب النصيحة بينك وبينه، دون النشر على الملأ، وجرب ذلك وستجد أنه أفضل بكثير من النشر، ويضمن استقرار المجتمع وتماسكه.

لو ظهر لك عيب في أحد المقربين لك أو مَن تعرفه، يتوجّب عليك أن تنصحه ثمّ تنصحه، ثم تنصحه، والستر واجب عليك. فالإنسان الواقع في ذلة كالشخص العاري، يحتاج إلى مَن يُغطّيه ويستره. فلا تكن ممّن يزيدون في تعريته، فتشارك في مفسدته وتُجرّده من عزته التي فطره الله عليها، بل دعه في ستر الله، وانصحه إن استطعت، فإنّ الستر يُطفئ نار الفساد ويشيع المحبة بين الناس، ويورث الساتر سعادة وستراً في الدنيا والآخرة، كما أنّه يُثمر حُسن الظّنّ بالله تعالى وبالناس. وكتم الأسرار نوع من الستر، يُحمَدُ عليه صاحبه من الخالق والمخلوق. فاستعِن بالله على التحلّي بهذا الخُلق العظيم، فهو أغلى من الجوهرة النفيسة.►